ديوان
حاتم طي



ديوان حاتم طي



ديوان حاتم طي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٢٨٤٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٨٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

حاتم الطائي

يُكنى بأبي سفَّانة، واسمه: هَزومةُ بنُ عبد الله، أدْرَك مولد النبي ﷺ ومات قبل مبعثه، كان جوادًا شاعرًا من فحول الشعراء، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان ظَفِرًا إذا قاتَلَ غَلَبَ، وإذا غَنِم أَنْهَب، وإذا سُئل وَهَب، وإذا ضربَ بالقِداح سبَقَ، وإذا أَسرَ أطْلَق. يُضرب المثل بكرمه وسخائه، وكان جُودُه يُشبِه شعرَه، وكانتْ له قُدُورٌ عظام بفِنائه على الأسافي لا تنزل عنها، فإذا أهلَّ رجب نَحَرَ كلَّ يوم وأطعم.

يُروَى أنَّ أباه خلَّفه في إبِلِه وهو غلام، فمرَّ به جماعة من الشعراء، فيهم: عَبِيد بن الأَبْرَص، وبشير بن أبي حازم، والنابغة الذُّبْياني، فقالوا له: هل مِن قِرًى؟ فقال: أتسأَلوني القِرَى وقد رأيتم الغنمَ والإبلَ؟! فنَحَر لكلِّ واحدٍ منهم، فامْتَدَحوه بأشعار، فقال حاتم: أردتُ أن أُحسن إليكم فكان الفضلُ لكم عليَّ، وأنا أُعاهِد اللهَ أنْ أضرِبَ عراقيبَ إبِلي عن آخِرها أو تَقْدَموا إليها فتَقْتَسِموها. ففعلوا، فأصابَ الرجلُ تسعةً وتسعين بعيرًا، ومَضَوْا على سَفَرِهم، وجاء أبوه فقال: ما فعلتَ بالإبل؟ قال: طوَّقْتُك بها طوقَ الحمامة مجدَ الدهر، وكرمًا لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أُثْنِيَ به علينا عوضًا من إبلك. فقال أبوه: إذن لا أُساكِنُك بعدَها أبدًا ولا آوِيك. فقال حاتم: إذن لا أُبالي.

حرف الباء

قال:

أبْلِغِ الحارثَ بنَ عمرو بأني ... حافظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للصوابِ
ومجيبٌ دعاءَه إنْ دعاني ... عَجِلًا واحدًا وذا أصحابِ
إنَّ ما بينَنا وبينَك فاعْلَمْ ... سَيْرُ تسعٍ للعاجل المُنْتابِ
فثلاثٌ من السَّراة إلى الحلـ ... ـبط للخَيل جاهدًا والرِّكابِ

وثـلاثٌ يَـرِدْنَ تَـيْـمـاءَ رَهْـوًا وثـلاثٌ يَـغْـرُرْنَ بـالإعـجـابِ
فـإذا مـا مررْتَ فـي مُـسْـبَـطِـرٍّ فاجْمَحِ الخيلَ مثلَ جَمْحِ الكِعابِ
بينما ذاك أصبحتْ وهي عضدي من سبـيٍّ مجموعة ونـهـابِ
ليتَ شِعْري متى أرَى قبةً ذا تَ قلاعٍ لـلـحـارث الـحـرَّابِ
بـيَـفـاعٍ وذاك مـنـهـا مـحـلٌّ فوق مَلْكٍ يَدِين بالأحسابِ
أيُّها الـمُوعِدي فإنَّ لَبُونِي بين حقلٍ وبين هضب ذبابِ
حيث لا أَرْهَب الخزاة وحَوْلي ثُعَلِيُّون كالليوثِ الغِضابِ

وقال:

ومَـرْقَـبـةٍ دون الـسـمـاء عَـلَـوْتُـهـا أقلِّب طَرْفي في فضاء سباسِبِ
وما أنا بالماشي إلى بيت جارتي طُرُوقًا أحيِّيها كآخِر جانب
ولو شهدتْنا بالمزاح لأيقنتْ على ضرِّنا أنَّا كرام الضرائبِ
عشيةَ قال ابنُ الذئيمة عارقٌ: إخالُ رئيسَ القوم ليس بآيبِ
فما أنا بالطَّاوِي حقيقةَ رحْلِها لأركبها خِفًّا وأتركَ صاحبي
إذا كنتَ ربًّا للقَلُوصِ فلا تَدَعْ رفيقَك يمشي خلْفَها غير راكِبِ
أنِخْها فأرْدِفْهُ فإنْ حَمَلَتْكما فذاك وإن كان العِقابُ فعاقِبِ
وما أنا بالسَّاعِي بفضْلِ زمامها لتشربَ ما في الحوض قبلَ الركائبِ
ولستُ إذا ما أحدثَ الدهرُ نكبةً بأخضعَ ولَّاجِ بيوتَ الأقاربِ
إذا أَوْطَن القومُ البيوتَ وجدتَهم عُماةً عن الأخبارِ خُرْقَ المكاسب
وشرُّ الصعاليك الذي همُّ نفسه حديثُ الغواني واتِّباعُ المآرِبِ

وقال:

فلو كان ما يُعطِي رياءً لأمسكتْ به جنَباتُ اللَّوْمِ يَجْذِبْنَه جذبا
ولكنما يَبْغِي به الله وحدَه فأعطِ وقد أربحْتَ في البيعةِ الكسْبا

حرف التاء

قال:

كريمٌ لا أبيتُ الليلَ جادٍ أُعدِّد بالأنامِلِ ما رُزِيتُ
إذا ما بتُّ أشرب فوق ريٍّ لسُكْرٍ في الشراب فلا رَوِيتُ

إذا ما بتُّ أختلُ عِرْسَ جاري ليُخْفِيَني الظلامُ فلا خَفِيتُ
أَأَفضحُ جارتي وأخونُ جاري معاذَ الله أفعلُ ما حَيِيتُ

يُروَى أنَّ حاتمًا أضافَ مرة ضيفًا ولم يَجِدْ عندَه ما يقدِّم إليه، وكان له ناقة يُقال لها «أفعى»، فعَقَرها وأطعَمَه منها، وبعث إلى عياله بقسمها، وقال:

ولَمَّا رأيتُ الناسَ هرَّتْ كلابُهم ضربتُ بسَيْفي ساقَ أَفْعَى فخرَّتِ
وقلتُ لأَصْباهٍ صغارٍ ونسوةٍ بشهباءَ مِن ليل الثمانين قرَّتِ
عليكم من الشطين كل وَرِيَّةٍ إذا النار مسَّتْ جانبَيْها ارْمَعَلَّتِ
ولا يُنزِل المرءُ الكريمُ عِيالَه وأضيافَه ما ساق مالًا بضرَّتِ

حرف الحاء

قال:

نِعِمَّا مَحِلُّ الضيفِ لو تعلَمِينَه بليلٍ إذا ما استشْرَفَتْه النَّوابِحُ
تقصَّى إليَّ الحيَّ إِمَّا دلالةً عليَّ وإِمَّا قادهُ ليَ ناصحُ

وقال:

يا مالِ إحدى صُروفِ الدَّهْر قد طَرَقَتْ يا مالِ ما أنتُمُ عنها بنُزَّاحِ
يا مالِ جاءتْ حياضُ الموتِ وَاردةً من بين غَمْرٍ فخُضْناه وضَحْضَاحِ

حرف الدال

قال:

هل الدهرُ إلَّا اليومُ أو أمس أو غدُ كذاك الزمان بيننا يتردَّدُ
يردُّ علينا ليلةً بعد يومِها فلا نحن ما نَبْقى ولا الدهرُ يَنْفَدُ
لنا أجلٌ إمَّا تَنَاهَى إمامَه فنحن على آثاره نتورَّدُ
بنو ثُعَلٍ قَوْمي فما أنا مدَّعٍ سواهم إلى قومٍ وما أنا مُسنَدُ
فمهلًا فِداكِ اليومَ أُمِّي وخالتي فلا يأْمُرَنِّي بالدَّنِيَّة أسوَدُ
على حين إذ ذَكَّيْتُ واشتدَّ جانبي أُسامُ التي أَعْيَيْتُ إذْ أنا أمْرَدُ

فهل تركتْ قبلي حضورَ مكانَها؟! وهل مَن أبَى ضيمًا وخسفًا مُخَلَّدُ
ومُعْتَسفٍ بالرُّمح دونَ صِحابِه تعسَّفتُه بالسَّيْف والقَوْمُ شُهَّدُ
فخرَّ على حُرِّ الجَبِين وزَادَه إلى الموتِ مطرورَ الوقيعةِ مِزْوَدُ
فما رُمْتُه حتى أزَحْتُ عَوِيصَه وحتى علاه حالِكُ اللَّوْن أسودُ
فأقسمتُ لا أمشي إلى سِتْرِ جارةٍ مدى الدهر ما دام الحَمامُ يُغرِّدُ
ولا أشتري مالًا بغدرٍ علِمْتُه ألَا كلُّ مالٍ خالَطَ الغدرَ أنكَدُ
إذا كان بعضُ المال ربًّا لأهْلِه فإني بحمد الله مالي مُعَبَّدُ
يُفَكُّ به العَانِي ويُؤكَلُ طَيِّبًا ويُعطَى إذا منَّ البخيل المصرَّدُ
إذا ما البخيلُ الخِبُّ أخمدَ نارَه أقول لِمَن يَصْلَى بناريَ أوْقدُوا
توسَّعْ قليلًا أو يكن ثَمَّ حسْبُنا ومُوقِدُها الباري أعفُّ وأحمدُ
كذاك أمورُ الناس: راضو دَنِيَّةٍ وسامٍ إلى فرعِ العُلَى متورِّدُ
فمنهم جوادٌ قد تلفَّتَ حولَه ومنهم لئيمٌ نائمُ الطرفِ أقْوَدُ
وداعٍ دعاني دعوةً فأجبْتُه وهل يَدَعُ الدَّاعِينَ إلَّا المُبَلَّدُ

وقال:

وخِرْقٍ كنَصْلِ السيف قد رامَ مَصْدِفِي تعسَّفتُه بالرمح والقومُ شُهَّدِي
فخرَّ على حُرِّ الجبين بضربةٍ تقطُّ صفاقًا عن حشًا غير مُسنَدِ
فما رمتُه حتى تركتُ عَوِيصَه بقيةَ عرفٍ يحفز التربَ مذوَدِ
وحتى تركتُ العائداتِ يَعُدْنَه ينادِينَ لا تَبعَدْ وقلتُ له: ابْعَدِ
أطافوا به طَوْفَيْن ثم مشَوْا به إلى ذاتِ أَلْجافٍ بزخَّاءَ قَرْدَدِ
ومَرْقَبةٍ دونَ السماء طِمِرَّةٍ سبقتُ طلوعَ الشمس منها بمَرْصَدِ
وِسادِي بها جفنُ السلاح وتارةً عَلى عُدَوَاءِ الجَنْبِ غَيرِ مُوَسَّدِ

وقال:

ألَا أخلَفَتْ سوداء منك المواعدُ ودون الذي أمَّلْتَ منها الفَراقِدُ
تُمنِّيننا غَدْوًا وغَيْمُكُمُ غدًا ضبابٌ فلا صحْوٌ ولا الغَيْمُ جائِدُ

إذا أنتَ أُعْطِيتَ الغِنَى ثم لم تَجُدْ بفَضْلِ الغِنَى أُلْفِيتَ مَا لك حامِدُ
وماذا يُعَدِّي المالُ عنك وجمعُه إذا كان مِيراثًا ووَارَاك لاحِدُ

وقال:

إلـهُهُمُ ربي وربي إلـهُهُم فأقسمتُ لا أَرْسُو ولا أَتَمَعَّدُ

دخل حاتم على الحارث وأنشده:

أبَى طولُ ليلِك إلَّا سُهُودا فما إنْ تَبِينُ لصُبْحٍ عَمودا
أبيتُ كئيبًا أُراعي النجومَ وأوجعُ مِن ساعديَّ الحديدا
أَرجِّي فواضلَ ذا بهجةٍ مِن الناس يجمع حزمًا وجُودا
نمتْهُ أُمامةُ والحارثا ن حتى تمهَّل سبقًا جديدا
كسبقِ الجوادِ غداةَ الرِّها نِ أربى على السِّنِّ شأْوًا مَدِيدا
فأجمعْ فِداءٌ لك الوالدان لِمَا كنتَ فينا بخيرٍ مُرِيدا
فتَجْمَع نُعْمَى على حاتمٍ وتُحضِرها مِن مَعَدٍّ شُهودا
أم الهُلْكُ أدنى فما إنْ علمتَ عليَّ جُناحًا فأَخْشَى الوَعِيدا
فأَحْسِنْ فلا عار فيما صنعتَ تُحْيِي جدودًا وتبري جُدودا

وقال:

وعاذِلةٍ هبَّتْ بليلٍ تَلُومُني وقد غاب عَيُّوقُ الثُّرَيَّا فعَرَّدا
تَلُومُ على إعطائيَ المالَ ضَلَّةً إذا ضنَّ بالمالِ البخيلُ وصَرَّدا
تقول: ألَا أَمْسِكْ عليك فإنَّني أرى المالَ عند المُمْسِكين مُعَبَّدا
ذَرِيني وحالي إنَّ مالَكِ وافِرٌ وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تعوَّدا
أعاذلَ لا آلُوكِ إلَّا خَلِيقتي فلا تَجْعَلي فوقي لِسانَكِ مِبْرَدا
ذَريني يكنْ مالي لعِرضيَ جُنَّةً يَقِي المالُ عرضي قبل أن يتبدَّدا
أَرِيني جَوادًا ماتَ هُزْلًا لعلَّنِي أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مُخلَّدا
وإلَّا فكُفِّي بعضَ لومِكِ واجْعَلي إلى رأْيِ مَن تَلْحَيْنَ رأْيَكِ مُسنَدا

ألم تعلمي أنِّي إذا الضيفُ نابَنِي وعزَّ القِرى أقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدا
أُسـوَّد سـاداتِ الـعـشـيـرةِ عـارِفًـا ومِن دون قومي في الشدائد مِذْوَدا
وأُلْفَى لأعراضِ العشيرة حافظًا وحـقِّـهِـمُ حـتـى أكونَ الـمُـسـوَّدا
يقولون لي: أَهلكتَ مالَك فاقْتَصِدْ وما كنتُ لولا ما تقولون سَيِّدا
كلوا الآنَ مِن رزقِ الإلهِ وأَيْسِروا فـإنَّ عـلـى الـرَّحـمـنِ رِزْقَـكُـمُ غَـدا
سأذخر من مالي دِلاصًا وسابِحًا وأسـمـرَ خَـطِّـيًّـا وعَـضْـبًـا مُـهَـنَّـدا
وذلك يَـكْـفِـيـنـي مـن الـمـال كلِّه مَصُونًا إذا ما كان عنديَ مُتْلَدا

وقال:

أبـلـغ بـنـي لأمٍ بـأنَّ خـيـولـهـم عَقْرَى وأنَّ مجادَهم لم يمجُدِ
هـا إنـما مطرتْ سماؤُكمُ دمًا ورفعتُ رأْسَك مثل رأس الأَصْيَدِ
ليكون جيراني كأني بينكم نـحـلًا لـكـنـديٍّ وسـبـي مـزنـد
وابن النجود وإن غدا مُتَلاطِمًا وابن العَذَوَّر ذي العِجانِ الأَزْبَدِ
أبـلـغ بـنـي ثُـعَلٍ بأنيَ لم أكن أبدًا لأفـعَـلَـهـا طَـوالَ الـمسـنـد
لأجيبهم فلًّا وأترك صحبتي نـهبًا ولـم تَـغْـدِرْ بقائِمِه يدي

وقال يخاطب امرأتَه ماوية:

أيـا ابـنـةَ عـبـدِ الـلـه وابـنـةَ مـالِكٍ ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْن والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزادَ فالْتَمِسي له أكـيـلًا فـإنـي لـسـتُ آكـلـهُ وَحْـدي
أخًـا طـارِقًـا أو جـارَ بـيـتٍ فـإنـنـي أخاف مَذَمَّات الأحاديث من بعدي
وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دام ثَاوِيًا وما فيَّ إلَّا تلك مِن شِيمةِ العَبْدِ

حرف الراء

قال:

بـكـيـتَ ومـا يُـبْـكـيـكَ مـن طـلَـلٍ قَـفْـرِ بِسِقْطِ اللِّوَى بين عَمُورانَ فـالـغـمـرِ
بـمـنـعـرج الـغـلَّان بـيـن سَـتِـيـرةٍ إلى دارِ ذاتِ الهَضْبِ فالبُرُق الحُمْرِ

إلى الشِّعب من أعلى ستارٍ فثَرْمَدٍ فبلدةِ مَبْنَى سِنْبَسٍ لابنتَيْ عمرو
وما أهلُ طَوْدٍ مكفهرٍّ حصونه من الموت إلَّا مثل مَن حلَّ بالصحر
وما دارعٌ إلَّا كآخَرَ حاسِرٍ وما مُقْتِرٌ إلَّا كآخَرَ ذي وَفْرِ
تنوطُ لنا حبَّ الحياةِ نفوسُنا شقاءً ويأْتي الموتُ من حيث لا نَدْري
أماويَّ إمَّا متُّ فاسْعَيْ بنطفةٍ من الخمر رِيًّا فانضَحِنَّ بها قبري
فلو أنَّ عين الخمر في رأسِ شارفٍ من الأُسْد وردٍ لاعتَلَجْنا علَى الخمرِ
ولا آخُذُ المولى لسوءِ بلائِه وإن كان محنيَّ الضلوع على غَمْرِ
متى يأْتِ يومًا وارثي يبتغي الغِنى يَجِدْ جمع كفٍّ غير ملءٍ ولا صِفرِ
يَجِدْ فَرَسًا مثلَ العَنَانِ وصَارِمًا حُسامًا إذا ما هُزَّ لم يَرْضَ بالهَبْرِ
وأسمرَ خَطِّيًّا كأنَّ كُعُوبه نوى القسْب قد أرمى ذراعًا على العشر
وإني لأستحْيِي من الأرض أن ترى بها الناب تمشي في عشياتها الغُبْرِ
وعشتُ مع الأقوام بالفقر والغنى سقاني بكأسَيْ ذاك كلتاهما دَهْرِي

وقال:

حننتُ إلى الأَجْبالِ أجبالِ طيِّئٍ وحنَّتْ قَلُوصي أنْ رأَتْ سَوْطَ أحمَرَا
فيا راكبَيْ عُلْيَا جَدِيلَةَ إنما تُسامان ضَيْمًا مُستَبِينًا فتنظرا
فما أنكراه غير أنَّ ابنَ مِلْقَطٍ أراه وقد أعطى الظلامة أَوْجَرَا
وإني لَمُزْجٍ للمَطِيِّ على الوَجا وما أَنا من خلَّانِك ابنةَ عفزرا
وما زلتُ أَسْعَى بين نابٍ ودارةٍ بلَحْيان حتى خِفْتُ أن أتنصَّرا
وحتى حسبتُ الليل والصبحَ إذْ بدا حصانَيْن سبَّاقَيْن جَوْنًا وأشقرا
لَشعبٌ من الريان أملِكُ بابه أنادِي به آلَ الكبير وجعفرا
أحبُّ إليَّ من خطيبٍ رأيتهُ إذا قلتُ معروفًا تبدَّل مُنْكَرا
تنادي إلى جاراتها: إنَّ حاتمًا أراه لعَمْري بعدَنا قد تغيَّرا
تغيَّرتُ! إني غير آتٍ لريبةٍ ولا قائلٌ يومًا لذي العُرْف مُنكَرا
ولا تسأليني واسألي أيَّ فارسٍ إذا بادر القوم الكنيف الْمُتبَّرا
فلا هي ما ترعى جميعًا عشارها ويصبح ضيفي ساهِمَ الوجه أغبرا
متى تَرَني أمشي بسيفي وسْطَها تَخَفْني وتُضْمِر بينَها أن تجزَّرا

وإني ليَغشَى أبعدُ الحيِّ جَفْنَتي إذا وَرَقُ الطَّلحِ الطِّوال تحسَّرا
فلا تسأليني واسألي بيَ صُحْبَتي إذا ما المطيُّ بالفلاة تَضَوَّرا
وإني لوَهَّاب قطوعي وناقتي إذا ما انتشيتُ والكُمَيْتَ المُصدَّرا
وإني كأشلاء اللجام ولن تَرَيْ أخا الحرب إلَّا ساهِمَ الوجه أغبرا
أخا الحرب إنْ عضَّتْ بِهِ الحربُ عضَّها وإنْ شمَّرتْ عن ساقِها الحربُ شمَّرا
وإني إذا ما الموتُ لم يكُ دُونَهُ قِدَى الشِّبْر أحمي الأنف أن يتأخَّرا
متى تَبْغِ ودًّا مِن جَديلةَ تَلْقَهُ مع الشَّنْءِ منه باقيًا متأثِّرا
إذا حالَ دُوني مِن سلامان رملةٌ وجدتُ توالي الوَصْلِ عنديَ أبْتَرا

وقال:

أماويَّ قد طالَ التجنُّبُ والهجْرُ وقد عذَرَتْني مِن طِلابِكم العُذْرُ
أماويَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ويَبْقَى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
أماويَّ إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاءَ يومًا حلَّ في مالِنا نَذْرُ
أماويَّ إمَّا مانعٌ فمُبَيَّنٌ وإمَّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماويَّ ما يُغْني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصَّدْرُ
إذا أنا دلَّاني الذين أحبُّهم لملحودةٍ زلجٍ جوانبُها غُبْرُ
وراحوا عِجَالًا ينفضون أكفَّهم يقولون قد دمَّى أنامِلَنا الحَفْرُ
أماويَّ إن يُصْبح صدايَ بقفرةٍ من الأرض لا ماءٌ هناك ولا خمرُ
تَرَيْ أنَّ ما أهلكتُ لم يكُ ضَرَّني وأنَّ يدي مما بخلتُ به صِفرُ
أماويَّ إني رُبَّ واحِدِ أمِّه أَجَرْتُ فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ
وقد علمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراءَ المال كان له وَفْرُ
وإنيَ لا آلو بمالي صنيعةً فأوَّلُه زادٌ وآخِرُه ذُخْرُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤكَل طَيِّبًا وما إنْ تُعَرِّيه القِداحُ ولا الخمرُ
ولا أَظْلِمُ ابنَ العمِّ إن كان إخوتي شهودًا وقد أَوْدَى بإخوتِه الدهرُ
عنينا زمانًا بالتصعْلُكِ والغِنَى كما الدهرُ في أيامِه العسرُ واليسرُ
كبَسْنا صُروفَ الدهر لِينًا وغِلْظةً وكلًّا سقاناه بكأسِهما الدهرُ
فما زادَنا بأوًا على ذي قرابةٍ غنانا ولا أَزْرَى بأحسابِنا الفقرُ
فقِدْمًا عصَيْتُ العاذلاتِ وسُلِّطَتْ على مصطفَى مالي أناملِيَ العَشْرُ

وقال:

صحا القلبُ من سلمى وعن أمِّ عامِرِ وكنتُ أُراني عنهما غيرَ صابرِ
ووشَّتْ وُشاةٌ بينَنا وتقاذفَتْ نوى غُرْبةٍ من بعد طولِ التجاوُرِ
وفتيانِ صِدْقٍ ضمَّهم دلجُ السُّرَى على مُسْهِماتٍ كالقِداح ضوامِرِ
فلمَّا أَتَوْني قلتُ: خيرُ معرَّسٍ ولم أطَّرِحْ حاجاتِهم بمَعاذِرِ
وقمتُ بمَوْشِيِّ المتونِ كأَنَّه شهابُ غضًا في كفِّ ساعٍ مُبادِرِ
ليَشْقَى به عُرقُوبُ كَوْماءَ جلبةٍ عقيلةِ أُدْمٍ كالهضاب بهاذرِ
فظلَّ عُفاتي مُكْرَمين وطابِخِي فريقان منهم: بين شاوٍ وقادِرِ
شآميةٌ لم يُتَّخَذ له حاسِر الطبيخ ولا ذم الخليط المجاور
يُقَمَّصُ دهداق البضيع كأَنَّه رءُوس القَطا الكُدْر الدِّقاق الحناجِرِ
كأَنَّ ضلوعَ الجنب في فَوَرانها إذا استحمشتْ أيدِي نساءٍ حواسِر
إذا استُنْزِلتْ كانتْ هدايا وطعمةً ولم تُختزنْ دون العيون النواظِرِ
كأَنَّ رياح اللحم حين تغَطْمَطَتْ رياحُ عَبِيرٍ بين أيدي العَواطِرِ
ألَا ليتَ أنَّ الموتَ كان حِمامُهُ ليالِيَ حلَّ الحيُّ أكنافَ حابِرِ
ليالِيَ يدعوني الهوى فأُجيبُه حثيثًا ولا أرعى إلى قول زاجِرِ
ودوِّيَّةٍ قَفْرٍ تَعاوَى سِباعُها عِواءَ اليتامَى مِن جِذارِ التَّراتِرِ
قطعتُ بمرداةٍ كأنَّ نُسُوعَها تُشدُّ على كومٍ عَلَنْدَى مخاطِرِ

جاور حاتم بني بَدْر زمنَ احتَرَبَتْ جَديلةُ وثُعَلُ، وكان زمن الفساد، فقال:

إنْ كنتِ كارهةً معيشتَنا هاتي فحُلِّي في بني بَدْرِ
جاورتُهم زمن الفسادِ فنعـ ـمَ الحيُّ في العَوْصاء واليُسْرِ
فسقيتُ بالماء النَّمِير ولم أترك أواطس حَمْأَة الجفرِ
ودُعيتُ في أُولى النديِّ ولم يُنظر إليَّ بأَعينٍ خُزْرِ
الضاربين لدَى أَعِنَّتِهم والطاعنِين وخيلُهم تجري
والخالِطِين نجيبَهم بنُضارِهم وذوي الغِنى منهم بذي الفَقْرِ

وقال:

ألَا أبْلِغْ بني أسدٍ رسولًا وما بي أن أَزُنَّكمُ بغَدْرِ
فمَن لم يُوفِ بالجيران قِدْمًا فقد أوفتْ معاويةُ بنُ بَكْرِ

أغارتْ طي على إبلٍ للحارث بن عمرٍو الجَفْنِي وقَتَلوا ابنًا له، فخرج يُرِيد طَيِّئًا، فأصاب في بني عَدِي بن أخزم تسعين رجلًا وأسلم بن دهم رهط حاتم، وحاتم يومئذٍ بالحِيرة عند النُّعْمان بن المُنْذِر، فأصابَهم مقدِّمات الجند، فلمَّا قدِم حاتم الجبلين جعلتِ المرأَةُ تأتيه بالصبي مِن وَلدِها فتقول: يا حاتم، أُسِرَ أبو هذا. فلم يلبث ليلةً حتى سار إلى الحارث، ومعه ملحان بن حارثة، فقال حاتم:

أَلَا إنني قد هاجَني الليلةَ الذِّكْرُ وما ذاك من حبِّ النساء ولا الأَشَرْ
ولكنني ممَّا أصاب عشيرتي وقومي بأقرانٍ حوالَيْهم الصِّيَرْ
لياليَ نُمْسِي بين جوٍّ ومسطحٍ نشاوى لنا من كل سائمةٍ جزر
فيا ليتَ خيرَ الناس حيًّا وميتًا يقول لنا خيرًا ويمضي الذي ائتَمَرْ
فإنْ كان شرٌّ فالعزاءُ فإنَّنا على وَقَعات الدَّهْر من قبْلِها صُبُر
سقَى الله ربُّ الناس سحًّا وديمةً جنوبَ السَّراة من مآبٍ إلى زُغَر
بلادَ امرئٍ لا يَعرِف الذمُّ بيتَه له المشربُ الصافي وليس له الكَدَر
تذكرتُ من وهم بن عمرٍو جلادةً وجرأَة معداه إذا نازحٌ بَكَر
فأبشرْ وقرَّ العين منك فإنَّني أجيء كريمًا ولا ضعيفًا ولا حَصَر

فأُعجب به الحارث، فاستَوْهَبَهم منه، فوهب له بني امرئ القيس بن عدي، ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال! قم إليه فاسأله إياهم، فدخل عليه فأنشده:

إنَّ امرأَ القيس أضحى من صنيعتكم وعبدَ شمس أبَيْتَ اللَّعْنَ فاصْطَنِعِ
إنَّ عديًّا إذا ملَّكتَ جانبَها من أمر غوثٍ على مرأًى ومستَمَعِ

فلمَّا أنشده هذين البيتين أطلقَ له بني عبد شمس بن عدي، فقال:

فكَكْتَ عديًّا كلَّها من إسارها فأَفْضِلْ وشفِّعْني بقيسِ بن جَحْدَرِ
أبوه أبي والأمَّهاتُ امَّهاتُنا فأنعِمْ فدَتْك النفس قومي ومَعْشَري

سارتْ مُحارِب حتى نزلوا أعجاز أجأ، وكانتْ مَنازِل بني بولان وجِرْم بأموالهم، فخافتْ طيٌّ أن يَغلِبوهم عليها، فقال حاتم يحضُّهم:

أرى أجأً من وراءِ الشقيق والصَّهْوِ، زُوِّجها عامرُ
وقد زوَّجوها وقد عنَّسَتْ وقد أيقنوا أنها عاقرُ
فإن يكُ أمرٌ بأَعْجازِها فإني على صَدْرها حاجرُ

وقال:

أَوْقِدْ فإنَّ الليل ليلٌ قَرُّ والريح يا مُوقِدُ ريحٌ صرُّ
عسى يرى نارَك مَن يَمُرُّ إنْ جلَبَتْ ضيفًا فأَنت حُرُّ

وقال:

ألَا سَبيلٌ إلى مالٍ يُعارِضني كما يُعارِض ماء الأبطح الجاري
ألَا أُعانُ على جُودي بِمَيْسرةٍ فلا يردُّ نَدَى كفَّيَّ إقتاري

خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم، فسقطوا على عمرو بن أَوس بن طريف بن المثنى عبد الله بن يَشْجُب بن عبدِ وُدٍّ في فضاءٍ من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تَعْجَلوا بقَتْلِه فإنْ أَصبحتم وقد أَحْدَق بكم الناسُ استَجَرْتموه، وإن لم تَرَوْا أَحدًا قتلْتُموه، فأصبَحوا وقد أَحْدَق الناس بهم فاستجارُوه فأجارَهم، فقال حاتم:

عمرو بن أوس إذا أشياعُه غَضِبوا فأحرزوه بلا غُرْمٍ ولا عارِ
إنَّ بني عبدِ وُدٍّ كلَّما وقعتْ إحدى الهَنات أَتَوْها غير أغْمارِ

وقال:

ألَا أبلِغا وَهْم بن عمرٍو رسالةً فإنَّك أنت المرءُ بالخير أَجْدَرُ
رأيتُك أدنى الناس منَّا قَرابةً وغيرُك منهم كنتُ أحبو وأنصُرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرِّق بيننا بموتٍ فكن يا وهمُ ذو يتأَخَّرُ

حرف السين

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أُدخِلُك بين جبلَيْ طَيِّئٍ حتى يَدِين لك أهلُهما. فبلغ ذلك حاتمًا فقال:

ولقد بغى بجلاد أوسٍ قومه ... ذلًّا وقد علِمَتْ بذلك سِنْبَسُ
حاشا بني عمرو بن سِنْبَسَ إنَّهم ... منعوا ذِمارَ أبيهمُ أن يَدْنِسوا
وتواعدوا وِردَ القُرَيَّة غدوةً ... وحلفتُ بالله العزيز لنُحْبَسُ
والله يعلم لو أتَى بسلافهم ... طرفَ الجريض لظلَّ يومٌ مُشْكِسُ
كالنار والشمس التي قالتْ لها: ... بيد اللُّوَيْمِس عالِمًا ما يَلْمِسُ
لا تُطْعِمَنَّ الماء إن أوْرَدْتَهم ... لتمام طميكمُ ففوزوا واحبسوا
أو ذو الحُصَيْن وفارس ذو مِرَّةٍ ... بكتيبةٍ مَن يُدْرِكوه يغرس
وموطَّأ الأكناف غير ملعَّنٍ ... في الحيِّ مَشَّاءٌ إليه المجلسُ

وقال:

لم تُنْسِني أطلال ماوية ناسي ... ولا أكثر الماضي الذي مثله يُنسي
إذا غربتْ شمس النهار وردتُها ... كما يرِد الظمآنُ آتية الخَمْسِ

حرف العين

قال يمدح بني زياد:

لعَمْرُك ما أضاع بنو زيادٍ ... ذمارَ أبيهمُ فيمَن يَضِيعُ
بنو جنيةٍ ولدتْ سُيوفًا ... صوارم كلُّها ذكرٌ صَنِيعُ
وجارتُهم حَصانٌ ما تُزَنَّى ... وطاعمةُ الشتاءِ فما تَجُوعُ
شرى ودِّي وتكرمتي جميعًا ... لآخِر غالبٍ أبدًا رَبِيعُ

وقال:

وإني لأستَحْيِي صحابي أنْ يَرَوْا ... مكانَ يدِي في جانب الزَّادِ أقْرَعا
أقصِّر كفِّي أن تنالَ أكفَّهم ... إذا نحن أهوَيْنا وحاجاتُنا معا

وإنك مهما تُعْطِ بطنَك سؤْلَه　　　وفَرْجَك نالاَ مُنْتَهى الذَّمِّ أجمَعا
أبيتُ خَمِيصَ البطنِ مُضْطَمِرَ الحَشَا　　　حياءً أخافُ الذمَّ أن أتضلَّعا

يُروَى أنَّ سَفَّانة كانتْ من أجودِ نساءِ العرب، وكان أبوها يُعْطِيها الصِّرْمة من الإبل فتُعْطِيها، فقال لها حاتم: إنَّ القوَّتين إذا اجتمَعَتَا أتْلَفتا، فإمَّا أن أُعْطِيَ وتُمْسِكي، أو أُمْسِك وتُعْطي، فإنَّه لا يُبقِي هذا شيئًا. وقال حاتم:

خُبِّرْتُ سفَّانةَ قالتْ أسْرِعِ　　　وجشِّمِ العِيسَ وإن لم تفجَعِ
رمَّان مِن وادي القرى لأربعِ

حرف الفاء

قال:

أَرسمًا جديدًا من نَوَار تَعرَّفُ　　　تُسائِله إذْ ليس بالدار موقفُ
تبغَّ ابن عم الصدق حيث لقيتَهُ　　　فإنَّ ابن عم السوءِ إن سُرَّ يُخلِفُ
إذا مات منَّا سيدٌ قام بعدَه　　　نَظيرٌ له يُغنِي غناه ويَخلُفُ
وإني لأَقْرِي الضيفَ قبلَ سؤالِهِ　　　وأطعن قِدْمًا والأسِنَّةُ ترعفُ
وإني لأَخْزَى أن تُرَى بي بطنةٌ　　　وجاراتُ بيتي طاوياتٌ ونُحَّفُ
وإني لأُغشِي أبعدَ الحيِّ جَفْنَتي　　　إذا حرَّكَ الأطنابَ نَكْباءُ حَرْجَفُ
وإنيَ أرمي بالعداوةِ أهلَها　　　وإنيَ بالأعداء لا أتنكَّفُ
وإني لأُعطي سائلي ولربما　　　أُكَلَّفُ ما لا أستطيعُ فأَكْلَفُ
وإني لمذمومٌ إذا قيل حاتمٌ　　　نبا نبوةً إنَّ الكريم يعنَّفُ
سآَبَى وتأبَى بي أصولٌ كريمةٌ　　　وآباءُ صِدْقٍ بالمودة شُرِّفوا
وأجعلُ مالي دون عِرضيَ إنني　　　كذلكم ممَّا أُفيدُ وأُتْلِفُ
وأغفر إنْ زلَّتْ بمولاي نعلةٌ　　　ولا خيرَ في المولى إذا كان يُقْرِفُ
سأنصُرُه إنْ كان للحقِّ تابعًا　　　وإنْ جارَ لم يَكْثُر عليَّ التعطُّفُ
وإنْ ظلَمُوه قمتُ بالسيفِ دُونَه　　　لأنصُرَه إنَّ الضعيف يُؤَنَّفُ
وإني وإن طالَ الثَّواءُ لَمَيِّتٌ　　　ويَعْطِمُني ماويَّ بيتٌ مسقَّفُ
وإني لَمَجْزِيٌّ بما أنا كاسبٌ　　　وكل امرئٍ رهنٌ بما هو مُتْلِفُ

حرف اللام

قال:

مَـهْـلًا نَـوارُ أَقـلِّـي الـلَّـوْمَ والـعَـذْلَا ... ولا تـقـولـي لـشـيءٍ فـاتَ: مـا فَـعَـلا
ولا تـقـولـي لـمـالٍ كـنـتُ مُـهـلِـكَـه: ... مهلًا، وإن كنتُ أعطي البحرَ والجَبَلَا
يرى البخيلُ سبيل المال واحدةً ... إنَّ الـجـواد يـرى فـي مـالِـه سُـبُـلَا
إنَّ الـبـخـيـل إذا مـا مـاتَ يَـتْـبَـعُـه ... سوءُ الثناء ويحوي الوارثُ الإِبِلا
فاصدقْ حديثَك إنَّ المرء يَتْبَعُه ... ما كان يَبْني إذا ما نعشُه حُمِلا
لـيـتَ الـبـخـيـلَ يـراه الـنـاسُ كـلُّـهـمُ ... كـمـا يـراهـم فـلا يُـقـرَى إذا نـزلا
لا تَعذِليني على مالٍ وَصَلْتُ به ... رحمًا وخيرُ سبيل المال ما وصلا
يسعى الفتى وحِمامُ الموتُ يُدْرِكه ... وكـلُّ يـومٍ يُـدَنِّـي لـلـفـتـى الأجـلا
إنـي لأعـلـم أنـي سـوف يُـدْرِكـنـي ... يومي وأُصبح عن دنياي مُشْتَغِلا
فليتَ شِعْري وليتٌ غيرُ مُدْرِكةٍ ... لأيِّ حـالٍ بـهـا أضـحـى بـنـو ثُـعَـلا
أبـلـغْ بـنـي ثُـعَـلٍ عـنِّـي مُـغَـلْـغَـلَـةً ... جَهْدَ الرسالةِ لا مَحْكًا ولا بُطُلا
اغزُوا بني ثُعَلٍ فالغَزْوُ حظُّكمُ ... عُدُّوا الرَّوابي ولا تبكوا لِمَن ثُكِلا
وَيْـهًـا فـداؤكـمُ أمـي ومـا ولـدتْ ... حاموا على مجدِكم واكْفُوا مَنِ اتَّكلا
إذْ غابَ مَن غاب عنهم من عشيرتنا ... وأبـدتِ الـحـربُ نـابًـا كـالـحًـا عَـصِـلا
الـلـه يـعـلـم أنـي ذو مُـحـافَـظـةٍ ... ما لم يَخُنِّي خليلي يَبْتَغِي بَدَلا
فـإنْ تـبـدَّلَ أَلْـفـانِـي أخـا ثـقـةٍ ... عفَّ الـخـلـيـقـةِ لا نِـكْـسًـا ولا وَكِـلا

وقال يذكر تحوُّل أبيه عنه:

وإني لـعَـفُّ الـفَـقْـرِ مُـشْـتَـرَك الـغِـنـى ... ووُدُّكَ شـكـلٌ لا يُـوافِـقـه شـكـلـي
وشـكـلـيَ شـكـلٌ لا يَـقُـومُ لِـمِـثْـلِـه ... من الناس إلَّا كلُّ ذي نِيقةٍ مِثْلي
ولي نِيقةٌ في المجْدِ والبذْلِ لم تكن ... تـأنَّـقَـهـا فـيـمـا مـضـى أحـدٌ قـبـلـي
وأجْـعَـلُ مـالـي دُونَ عِـرضـيَ جُـنَّـةً ... لنفسي وأستغني بما كان من فضلي
ولي معَ بذْلِ المال والبأسِ صَولةٌ ... إذا الحربُ أبدَتْ عن نواجِذِها العُصْلِ
ومـا ضـرَّنـي أنْ سـار سـعـدٌ بـأهـلِـه ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي

سيكفي ابتنايَ المجدَ سعدَ بنَ حشرجٍ وأحمل عنكم كلَّ ما حلَّ مِن أَزْلِي
وما مِن لئيمٍ عالَه الدهرُ مرةً فيذكُرها إلَّا استمال إلى البخْلِ

وقال:

إذا كنتَ ذا مالٍ كثيرٍ مُوَجَّهًا تُدَقُّ لك الأفحاءُ في كلِّ منزلِ
فإنَّ نَزِيعَ الجَفْرِ يُذْهِبُ عَيْمَتِي وأَبْلُغ بالمَخْشَوبِ غير المُفَلْفَلِ

وقال:

لا نَطْرُقُ الجاراتِ مِن بعدِ هَجْعةٍ من الليلِ إلَّا بالهديةِ تُحمَلُ
ولا يُلطَم ابنُ العمِّ وسْطَ بيوتِنا ولا نتصَبَّى عِرْسَهُ حين يَغفُلُ

وقال:

أتاني من الرَّيَّان أمسِ رسالةٌ وغَدْرًا بحيٍّ ما يقول مُواسِلُ
هما سأَلاني ما فعلتُ وإنَّني كذلك عمَّا أحدَثا أنا سائِلُ
فقلتُ: ألَا كيف الزمانُ عليكما؟ فقالا: بخيرٍ كلُّ أرضِكَ سائِلُ

حرف الميم

قال:

أتَعْرِفُ أطلالًا ونُؤْيًا مُهَدَّما كخَطِّكَ في رَقٍّ كتابًا مُنَمْنَما
أذاعتْ به الأرواحُ بعدَ أَنِيسِها شهورًا وأيامًا وحولًا محرَّما
دوارج قد غيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه وغيَّرَتِ الأيامُ ما كان مُعْلَما
وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى فما أعرفُ الأطلالَ إلَّا توهُّما
تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجةٍ وكشحًا كطيِّ السَّابِرِيَّةِ أهْضَما
ونحرًا كفَى نورَ الجَبِين يَزِينُه توقُّدُ ياقوتٍ وشَذرٌ مُنَظَّما
كجمرِ الغَضا هبَّتْ به بعدَ هَجْعةٍ من الليل أرواحُ الصَّبا فتنَسَّما

يضيءُ لنا البيتُ الظَّلِيلُ خصاصةً ... إذا هي ليلًا حاولتْ أن تبسَّمَا
إذا انقلبتْ فوق الحَشِية مرةً ... ترنَّمَ وسواسُ الحُلِيِّ ترنُّما
فبانتْ لطَيَّاتٍ لها وتبدَّلَتْ ... به بدلًا مرَّتْ به الطير أشأَمَا
وعاذِلتين هبَّتَا بعدَ هَجْعةٍ ... تلومانِ مِتْلافًا مُفِيدًا مُلَوَّما
تلومان لَمَّا غوَّر النجمُ ضِلَّةً ... فتًى لا يَرَى الإتلافَ في الحمدِ مَغْرَما
فقلتُ وقدْ طالَ العتابُ عليهما ... ولو عَذَرَاني أن تَبِينا وتُصْرَما:
ألَا لا تَلُوماني على ما تقدَّما ... كفَى بصُروفِ الدَّهْرِ للمرءِ مُحْكِما
فإنَّكما لا ما مَضى تُدْرِكانِه ... ولستُ على ما فاتَنِي مُتَنَدِّمَا
فنفسَك أكْرِمْها فإنَّك إن تَهُنْ ... عليكَ فلن تَلْقَى لك الدهرَ مُكْرِما
أَهِنْ للَّذِي تَهْوَى التِّلادَ فإنَّه ... إذا متَّ كان المالُ نَهْبًا مُقَسَّما
ولا تَشْقَيَنْ فيهِ فيَسْعَدَ وارثٌ ... به حينَ تَخْشَى أغبرَ اللونِ مُظْلِما
يُقَسِّمُه غُنْمًا ويَشْرِي كرامةً ... وقد صرتَ في خطٍّ من الأرض أعْظُما
قليلٌ به ما يَحْمَدَنَّكَ وارثٌ ... إذا ساق ممَّا كنتَ تَجْمَع مَغْنَما
تحمَّلْ عن الأدْنَيْنَ واستَبْقِ وُدَّهم ... ولن تستَطِيعَ الحِلمَ حتى تحلَّما
متى تَرْقِ أضغانَ العَشِيرةِ بالأنا ... وكفِّ الأذَى يُحسَمْ لك الدَّاءُ مَحْسِما
وما ابتعثتْني في هوايَ لجاجةٌ ... إذا لم أَجِدْ فيها إمامِي مُقَدَّما
إذا شئتَ ناوبتَ امرأَ السوء ما نزا ... إليك ولاطَمْتَ اللئيمَ الْمُلَطَّما
وذو اللُّبِّ والتقوى حقيقٌ إذا رأَى ... ذوي طَبَعِ الأخلاقِ أن يتكرَّما
فجاوِرْ كريمًا واقْتَدِحْ من زِنادِه ... وأَسنِدْ إليه إنْ تطاوَلَ سُلَّما
وعوراءَ قد أعرضتُ عنها فلم يَضِرْ ... وذي أَوَدٍ قوَّمتُه فتقوَّما
وأغفِرُ عوراءَ الكريم اصطناعَه ... وأصفحُ عن شَتْمِ اللَّئِيمِ تكرُّما
ولا أَخذُلُ المولى وإنْ كان خاذِلًا ... ولا أشتُمُ ابنَ العم إنْ كان مُفْحَما
ولا زادَني عنه غِنائي تباعُدًا ... وإن كان ذا نقصٍ من المال مُصْرِما
وليلٍ بهيمٍ قدْ تسرْبَلْتُ هَوْلَه ... إذا الليلُ بالنِّكْسِ الضَّعيفِ تجهَّما
ولن يكسبَ الصعلوكُ حَمْدًا ولا غِنًى ... إذا هو لم يَرْكَبْ من الأمر مُعْظَما
يَرَى الخَمْصَ تَعْذِيبًا وإن يَلْقَ شبعةً ... يَبِتْ قلبُه من قِلَّةِ الهمِّ مُبْهَما
لحَى الله صُعْلُوكًا مُناه وهمُّه ... من العيش أَن يَلْقَى لَبْوسًا ومَطْعَما

ينام الضُّحى حتى إذا ليلُه استوَى تنبَّهَ مثلوجَ الفؤادِ مُوَرَّما
مقيمًا مع المُثْرِين ليس ببارحٍ إذا كان جَدْوى من طعامٍ ومَجْثِما
ولله صعلوكٌ يُساوِر همَّه ويمضي على الأحداثِ والدهرِ مُقْدِما
فتى طَلِباتٍ لا يَرَى الخَمْص تَرْحةً ولا شَبْعةً إنْ نَالَها عَدَّ مَغْنَما
إذا ما رأَى يومًا مَكارِمَ أَعرَضَتْ تيمَّمَ كُبْراهنَّ ثُمَّتَ صمَّما
تَرَى رُمْحَهُ ونَبْلَهُ ومِجَنَّهُ وذا شُطَبٍ عَضْبِ الضَّريبة مِخْذَما
وأحناءَ سَرْجٍ فاترٍ ولِجامَه عتادَ فتى هَيْجا وطِرْفًا مُسَوَّما

وقال:

وفيتانِ صِدْقٍ لا ضَغائنَ بينَهم إذا أَرْمَلوا لم يُولَعوا بالتَّلاوُمِ
سَرَيْتُ بهم حتى تَكِلَّ مَطِيُّهم وحتى تَرَاهم فوقَ أغبَرَ طَاسِمِ
وإني أَذِينٌ أن يقولوا: مُزَائلٌ بأيٍّ يقول القوم أصحابُ حاتِمِ
فإمَّا تُصِيبُ النفسُ أكبرَ هَمِّها وإمَّا أُبَشِّرْكم بأشعثَ غانِمِ

وقال يذكر بعيرًا فُصد:

كذلك فَصْدِي إن سألتُ مَطِيَّتي دمَ الجوفِ إذْ كلُّ الفِصادِ وَخِيمُ

وقال:

أمَا والذي لا يعلم الغيبَ غيرُه ويُحْيِي العظامَ البِيضَ وهْيَ رَمِيمُ
لقد كنتُ أطوي البطنَ والزادُ يُشتَهى مخافةَ يومًا أن يُقال: لَئِيمُ
وما كان بي ما كان والليل مِلْبَسٌ رِواقٌ له فوقَ الإكام بَهِيمُ
ألفُّ بحِلْسي الزادَ مِن دُونِ صُحْبَتي وقد آبَ نجمٌ واستقلَّ نجومُ

يُروى أنَّ أبا حاتم مات وحاتمٌ صغير، فكان في حجر جدِّه سعد بن الحشرج، فلمَّا فتح يدَه بالعطاءِ وأَنْهَبَ مالَه ضيَّق عليه جدُّه وخلَّفه في داره، فبينا حاتم يومًا، إذ أنهب ماله، وهو نائم، إذِ انتبه وإذا حوله مائتا بعير، فساقَها إلى قومِه، فقالوا: يا حاتم، أَبْقِ

على نفسِك، فقد رُزقتَ مالًا، ولا تعودنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف، فقال: إنها نُهْبَى لكم، فانتُهِبتْ، فأنشأَ يقول:

تَدَارَكَني جدِّي بسَفْحِ مُتالِعٍ فلا ييأَسَنْ ذو نَوْمةٍ أن يُغَنَّما

وقال:

لا تَسْتُرِي قِدْرِي إذا ما طَبَخْتِها عليَّ إذن ما تَطْبُخِينَ حرامُ
ولكنْ بهذاك اليَفاعِ فأَوْقِدي بجزلٍ إذا أَوْقَدْتِ لا بِضِرامِ

خرج الحكم بن أبي العاصي بن أُمية بن عبد شمس ومعه عِطْر يُرِيد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يَجْتَمِع إليها العربُ كلَّ سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن ثُمامة بن مالك بن جُدْعان بن ذُهْل بن رُومان بن خُبَيْب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طَيٍّ ربع الطريق طُعْمة لهم؛ وذلك لأنَّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانتْ عند النعمان وكانوا أصهارَه، فمرَّ الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوارَ في أَرض طيٍّ حتى يصير إلى الحيرة، فأجارَه، ثم أمر حاتم بجزور فنُحرتْ وطُبختْ أَعضاء فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمِّه، فلمَّا فرغوا من الطعام، طيَّبهم الحكم من طيبه، فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم، وليس معه من بني أبيه غير ملحان، فوضع حاتم سُفْرتَه وقال: اطعَموا، حيَّاكم الله. فقالوا: مَن هؤُلاءِ معك يا حاتم؟ قال: هؤُلاء جيراني. قال له سعد: أَفأَنت تُجِيرُ علينا في بلادنا؟! قال له: أَنا ابنُ عمِّكم، وأحقُّ مَن لا تَخْفِروا ذمَّتَه. فقالوا: لستَ هناك. وأَرادوا أن يَفْضَحوه كما فُضح عامرُ بنُ جُوَيْن قبلَه، فوَثَبوا إليه، فتناوَل كنديُّ بن حارثَةَ بن لأم حاتمًا، فأَهْوَى له حاتمٌ بالسيف فأطارَ أَرنبةَ أنفِه، ووقعَ الشرُّ حتى تحاجَزوا، فقال حاتم في ذلك:

وَدِدتُ وبيتِ الله لو أَنَّ أنفَهُ هواءٌ فما متَّ المخاطَ عن العَظْمِ
ولكنَّما لاقاهُ سيفُ ابنِ عمِّهِ فأَبَّ ومرَّ السيفُ منه على الخَطْمِ

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحِيرة، فنُماجِدك بها، ونضع الرَّهْن، ففعلوا، ووَضَعوا تسعةَ أفراس رَهْنًا، على يد رجل من كلب يُقال له: امرؤ القيس بن عدي بن أَوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب، وهو جَدُّ سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب،

رضي الله عنهم، ووضَعَ حاتمٌ فرسَه، ثم خرجوا حتى انتهَوْا إلى الحِيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يُعِينَهم النعمانُ ويُقوِّيهم بمالِه وسُلْطانِه، للصِّهْر الذي بينَهم وبينه، فجمعَ إياسٌ رَهْطَه من بني حَيَّة، وقال: يا بني حية، إنَّ هؤُلاء القوم أرادوا أن يَفضَحوا ابنَ عمِّكم في مِجادِه؛ أي بمُماجَدتِه. فقال رجل من بني حَيَّة: عندي مائة ناقةٍ سوداء، ومائة ناقة حمراء أدماء. وقام آخَر فقال: عندي عشرةُ حُصُن على كل حصان منها فارسٌ مُدجَّج لا يُرى منه إلَّا عيناه. وقال حسان بن جبلة الخير: قد علِمْتُم أنَّ أَبي قد مات وترك مالًا كثيرًا، فعليَّ كلُّ تمرٍ أَو لحمٍ أو طعامٍ ما أَقاموا في سوق الحِيرة. ثم قام إياسٌ فقال: عليَّ مثلُ جميعِ ما أَعطَيْتُم كلُّكم. وحاتمٌ لا يعلم بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالِكِ بن جبار ابن عمٍّ له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يا ابن عم، أَعِنِّي على مُخايَلَتِي، والمخايلة: المفاخرة، فقال مالك: ما كنتُ لأخربَ نفسي ولا عيالي وأَعطيَك. فانصرَفَ عنه.

ثم أَتى حاتم ابن عمٍّ له يُقال له: وهم بن عمرٍو، وكان حاتم يومئذٍ مُصارِمًا له لا يكلمه، فقالتْ له امرأته: أَيْ وهم، هذا والله أَبو سفَّانة حاتمٌ قد طَلَع. فقال: ما لنا ولحاتم، أَثْبِتي النظر. فقالتْ: حاتم. قال: وَيْحَكِ هو لا يُكلِّمني، فما جاء به إليَّ؟ فنزل حتى سلَّم عليه، فردَّ سلامَه وحيَّاه، ثم قال: أَوَما جاءَ بك يا حاتم؟ فقال: خاطرتُ على حَسَبك وحَسَبي. قال: في الرُّحْب والسَّعَة، هذا مالي، وعدَّته يومئذٍ تسعمائة بعير، تأَخُذُها مائةً مائةً حتى تَذهَب الإبلُ أَو تُصْيبَ ما تُريد. فقالتْ له امرأَتُه: يا حاتم، أنت تُخْرِجنا عن مالنا وتفضحُ صاحبَنا؛ تَعْنِي زوجَها. فقال: اذهَبِي عنِّي، فوالله، ما كان الذي غمَّك لِيَرُدَّني عمَّا قِبَلِي.

ثم إنَّ إياس بن قَبِيصة قال: احملوني إلى المَلِك، وكان به نِقْرِسٌ، فحُمِل حتى أُدخِل عليه، فقال: أَنْعِم صباحًا، أبيتَ اللعن. فقال النعمان: وحيَّاك إلهُك. فقال إياسٌ: أَتمُدُّ أَخْتَانَك بالمال والخيل، وجعلتَ بني ثُعَلٍ في قَعْرِ الكنانة؟! أَظنَّ أختانُك أَنْ يَصْنَعوا بحاتمٍ ما صَنَعُوا بعامرِ بن جُوَيْن، ولم يشعروا أَنَّ بني حَيَّة بالبلد، فإنْ شئتَ والله نَاجَزْناك حتى يَسْفَح الوادي دمًا، فليحضروا لِمجادِهم غدًا مجمعَ العرب. فعَرَف النعمانُ الغضب في وجهِه، فقال النعمان: يا أَحْلَمَنا، لا تغضب؛ فإني سأَكْفيك. وأرسل النعمانُ إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابنَ عمِّكم حاتمًا فأَرْضوه؛ فوالله، ما أنا بالذي أُعْطيكم مالي تُبَذِّرونه، وما أُطِيق بني حَيَّة. فخرج بنو لأم إلى حاتم، فقالوا له: أَعْرِضْ عن هذا

الْمِجاد. فتَرَكوا أَرشَ أنفِ صاحِبِهم وأفراسَهم، وقالوا: قبَّحَها الله وأبعَدَها فإنَّما هي مقاذيف. فعدا إليها حاتم فعَقَرها وأطْعَمَها الناس.

حرف النون

قال:

وما مِن شِيمتي شتْمُ ابنِ عمِّي ... وما أنا مخلفٌ مَن يَرْتَجِيني
سأَمْنَحُه على العلَّات حتى ... أرى ماويَّ أن لا يَشْتَكِيني
وكِلْمة حاسدٍ من غيرِ جُرْمٍ ... سمعتُ وقلتُ: مُرِّي فانقِذِيني
وعابوها عليَّ فلم تَعِبْني ... ولم يَعرَق لها يومًا جَبِيني
وذي وجهين يَلْقاني طَلِيقًا ... وليس إذا تغيَّب يَأْتَسِيني
نظرتُ بعينِه فكففتُ عنه ... محافظةً على حَسَبي وديني
فلُومِيني إذا لم أَقْرِ ضيفًا ... وأُكْرِمْ مُكْرِمِي وأُهِنْ مُهِيني

وقال:

ولا أُزرِّفُ ضيفي إنْ تَأَوَّبني ... ولا أُداني له ما ليس بالدَّاني
له المواساةُ عندي إن تَأَوَّبني ... وكلُّ زادٍ وإنْ أَبْقَيْتُه فانِي

حرف الهاء

قال:

ألَا أَرِقتْ عيني فبتُّ أُدِيرها ... حِذارَ غدٍ أَحْجَى بأن لا يَضِيرُها
إذا النجمُ أَضْحَى مغربَ الشمس مائلًا ... ولم يكُ بالآفاقِ بَوْنٌ يُنِيرُها
إذا ما السماءُ لم تكنْ غيرَ حَلْبةٍ ... كجِدَّة بيتِ العنكبوت يُنِيرُها
فقدْ عَلِمَتْ غَوثٌ بأنَّا سَراتُها ... إذا أُعلِنتْ بعدَ السِّرارِ أُمُورُها
إذا الريحُ جاءَتْ من أمامِ أَخائفٍ ... وأَلْوَتْ بأطنابِ البيوت صدورُها
وإنَّا نُهِينُ المالَ في غير ضِنَّةٍ ... وما يَشْتَكِينا في السِّنين ضَرِيرُها
إذا ما بخيلُ الناس هرَّتْ كِلابُهُ ... وشقَّ على الضَّيفِ الضَّعيفِ عَقُورُها
فإنِّي جبانُ الكلبِ بَيْتي مُوَطَّأٌ ... أجودُ إذا ما النفس شحَّ ضميرُها

وإنَّ كـلابـي قـد أهـرَّتْ وعُـوِّدتْ قليلٌ على مَن يَعْتَرِيني هَرِيرُها
وما تشتكي قِدْري إذا الناس أَمْحَلَتْ أُوَثِّـقُـهـا طَـوْرًا وطَـوْرًا أمِـيـرُهـا
وأُبْـرِزُ قِـدْري بـالـفـضـاءِ قـلـيـلُـهـا يُرى غيرَ مَضْنُونٍ به وكثيرُها
وإبْـلـيَ رَهْـنٌ أن يـكـون كـريـمُـهـا عقيرًا أمامَ البيتِ حين أُثِيرُها
أشاوِرُ نفسَ الجُودِ حتى تُطِيعَني وأترُكُ نفسَ البُخْلِ لا أَسْتَشِيرُها
وليس على ناري حِجابٌ يكِنُّها لمُسْتَوْبِصٍ ليلًا ولكنْ أُنِيرُها
فلا وأبيك ما يَظَلُّ ابنُ جارتي يطوف حَوَالَيْ قِدْرِنا ما يَطُورُها
وما تَشْتَكِيني جارتي غيرَ أنَّها إذا غابَ عنها بَعْلُها لا أَزُورُها
سيَبْلُغُها خَيْري ويَرْجِعُ بَعْلُها إليها ولم يُقْصَر عليَّ سُتُورُها
وخيلٍ تَعادَى للطِّعانِ شَهِدتُها ولو لم أكُنْ فيها لساءَ عَذِيرُها
وغمرةِ موتٍ ليس فيها هَوادةٌ يكون صدورُ المَشْرَفيِّ جُسُورُها
صَبَرْنا لها في نَهْكِها ومُصابِها بأسيافِنا حتى يَبُوخَ سَعِيرُها
وعَرْجَلةٍ شُعْثِ الرءوسِ كأنَّهم بنو الجنِّ لم تُطبَخْ بِقِدْرٍ جَزُورُها
شهدتُ وعوَّانًا أُميمةَ إنَّنا بنو الحربِ نَصْلاها إذا اشتدَّ نورُها
على مُهْرةٍ كَبْداءَ جَرْداءَ ضَامِرٍ أمينٍ شَظاها مُطْمَئِنٍّ نُسُورُها
وأقسمتُ لا أُعْطِي مَلِيكًا ظُلامةً وحَوْلي عَدِيٌّ كَهْلُها وغَرِيرُها
أَبَتْ ليَ ذاكُمْ أُسْرةٌ ثُعَلِيَّةٌ كريمٌ غِناها مُسْتَعِفٌّ فَقِيرُها
وخوصٍ دقاقٍ قد حَدَوْتُ لِفِتْيةٍ عليهنَّ إحداهنَّ قد حَلَّ كُورُها

وقال:

أبا الْخَيْبَرِيِّ وأنتَ امرؤ حَسُودُ العَشِيرةِ شتَّامُها
فماذا أردتَ إلى رِمَّةٍ بداوِيَّةٍ صَخِبٍ هامُها
تُبَغِّي أَذاها وإعسارَها وحولَك غوثٌ وأنْعَامُها
وإنا لنُطْعِمُ أضيافَنا من الكُومِ بالسِّيفِ نَعْتَامُها

وقال:

وقائلةٍ أهلكتَ بالجودِ مالَنا ونفسَك حتى ضرَّ نفسَك جودُها
فقلتُ دَعِيني إنَّما تلك عادتي لكلِّ كريمٍ عادةٌ يَسْتَعِيدُها

وقال:

قُدُوري بصحراءَ منصوبةٌ وما يَنْبَحُ الكلْبُ أضيافِيَهْ
وإن لم أَجِدْ لِنَزِيلِي قِرًى قطعتُ له بعضَ أَطْرَافِيَهْ

إلى هنا انتهى ديوان حاتم الطائي، وسيَتْبَعُهُ نُتَفٌ من أخباره في الصفحة التالية.

نُتَفٌ من أخبار حاتم الطائي

يُقال إنَّ حاتمًا كان مُنْقَطِعَ النَّظير في الكرم، فسارَ ذكرُه في الآفاق، وضُربتْ به الأمثال، ولَهَجَتْ به الشعراء.

وقد قال فيه بعضهم:

وحاتمُ طيٍّ إنْ طَوَى الموتُ جسمَهُ فنَشْرُ اسمِهِ في الجودِ عاشَ مُخَلَّدَا

وقال آخَر:

لَمَّا سألْتُك شيئًا بدَّلْتَ رُشْدًا بِغَي
ممَّن تعلَّمتَ هذا أن لا تَجُودَ بشَي
أمَا مررتَ بعبدٍ لعبدِ حاتمِ طَي

وقال آخَر:

للجُودِ حاتمُ طيٍّ وحاتمُ البُخْلِ عَوْن
له مصابيح بِيضٌ والعِرْضُ أسودُ جَوْن

ومِن حديثِهِ قيل: إنَّ حاتمًا جلَس يومًا للشَّراب، ودعا إليه مَن كان في الحلة، فحَضَروا وكانوا يُنَيِّفون عن مائتَيْ رجل، فلمَّا فرغوا مِن شَرابِهم وأرادوا الانصراف، أعْطَى كلَّ واحدٍ منهم ثلاثًا من النُّوق.

ومِن حديثه: أَسَرَتْ حاتمًا عنزةُ، فجعَلَ نساءُ عنزةَ يُدَارِينَ بعيرًا ليَفْصِدْنَه، فضَعُفْنَ عنه، فقُلْنَ: يا حاتم، أفاصِدُه أنت إنْ أطْلَقْنا يدَك؟ قال: نعم. فأَطْلَقْنَ إحدى يدَيْه فوَجَأ

لَبَّتَه، فاستَدْمَيْنه منه، ثم إنَّ البعير عضد؛ أيْ لوَى عنقه؛ أيْ حزَّ، فقُلْنَ: ما صنعتَ؟! قال: هكذا فِصادِي. فجَرَتْ مثلًا، فلَطَمَتْه إحداهن، فقال: ما أنتنَّ نساءُ عنزةَ بكِرامٍ، ولا ذواتِ أحلامٍ. وإن امرأةً منهن يُقال لها عاجزة أُعجِبَتْ به فأطْلَقَتْهُ، ولم يَنْقِموا عليه ما فعل.

حُكي عن زوجتِهِ النَّوار، قالتْ: أصابَتْنا سنةٌ اقشعرَّتْ لها الأرض، وضنَّتِ المراضِعُ على أولادِها، فوالله، إني لفِي ليلة صِنَّبرة بعيدةِ ما بين الطرفين، إذْ تَضاغَى أولادُنا الثلاثة، فقام إلى الصَّبِيَّيْن، وقمتُ أنا إلى الصَّبِيَّة، فوالله، ما سكتوا إلَّا بعد هَدْأَةٍ من الليل، ثم نامُوا ونِمْتُ أنا وإيَّاهم، فأقبلَ عليَّ يُعَلِّلني بالحديث، فعَرَفْتُ ما يُرِيد فتناوَمْتُ وما يأْتيني نوم، فقال: ما لها، أنَامَتْ؟ فسَكَتُّ، ثم تَهَوَّرتِ النجوم، إذا شيءٌ قد رَفَع كسرَ البيت؛ فقال: ما هذا؟ قال: جارتُك فلانة. قال: ما لَكِ؟ قالت: الشَّرُّ، أتيتُك من عندِ صِبْيَةٍ يَتَعاوَوْنَ عَوِيَّ الذئاب من الجوع. قال: أَعْجِلِيهم. فهبَبْتُ إليه فقلتُ: ماذا صنعتَ؟! فوالله، لقد تَضاغَى صِبْيَتُك من الجوع، فما أصبتَ ما يُعَلِّلهم! فقال: اسكُتِي. وأقبلتِ المرأَة تحملُ اثنين ويَمْشِي بجانِبِها أربعةٌ، فقام إلى فَرَسِهِ فنَحَرَه وكشَطَ عن جِلْدِه، ثم قال للمرأة: ابْعَثِي صِبْيَانَكِ، فبعثَتْهم، فاجتَمَعْنا، فقال: تأْكُلونَ دُونَ أهل الصَّوْمِ! ثم جعل يأْتي بيتًا بيتًا ويقول: دُونَكم النار! فاجتَمَعوا، فالْتَفَعَ بثَوْبِهِ ناحيةً ينظر إلَيْنا، فوالله، ما ذاقَ منها مُزْعَةً، وإنَّه لأَحْوَجُهم، وأصبَحْنا وما على الأرض إلَّا عظمٌ أو حافرٌ.


هنداوي